

الافتتاحية

القدس في عيون المغاربة "حاضرة العرب المباركة وقبله المسلمين الأولى"

تَسَمَّت الدورة السنوية السابعة من مؤتمر العلوم الإنسانية والاجتماعية للباحثين (مؤتمر معا) بإسم دورة القدس حاضرة العرب المباركة وقبله المسلمين الأولى.. وقد مضت هذه الدورة من مؤتمر معاً قُدماً في تناول قضايا المشروع البحثي الذي تناولته الدورات الثلاث السابقة، وأعني بذلك المشروع البحثي ((فكرنا في القرنين الأخيرين: قضايا وأصوله الحضارية)) الذي يشرف عليه كرسي الحضارة الإسلامية والمشرق الإنساني بالتعاون مع مؤسسة خالد الحسن. وقد انعقد المؤتمر تحت عنوان ((فكرنا في القرن الأخير "القدس، القضايا المعاصرة، والأصول الحضارية")).. وشهدت أيامه الثلاثة 19، 20، 21 أبريل 2018م) عدداً من المحاضرات الفكرية والعروض للأوراق العلمية وذلك بحضور ضيف شرف المؤتمر الأستاذ الباحث والأديب الدكتور بدر المقرئ¹..

ولقد كان لإنعقاد هذه الدورة باسمها المقدسي ذاك دلالة إذ جاء بعد شهور قليلة من الإدعاء البائس الذي تمخض عن إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترمب (في 6 ديسمبر 2017م) إقراره رسمياً بالقدس عاصمةً لـ "دولة إسرائيل" واعتبارها بيت المقدس الشريف مدينةً يهودية وعاصمة للكيان الصهيوني الاستعماري الإسرائيلي في فلسطين.. وقد جاء هذا الإعلان في الذكرى المئوية لذات اليوم الذي رزحت فيه فلسطين تحت الاحتلال البريطاني للقدس عام 1917م: وكأنه بذلك إعلانٌ يُشهِرُ التحدي في وجه إعلاء أبناء الحضارة الإسلامية والإنسانية قاطبةً لما تُمثله القدس لدى مسلمي ومسيحيي العالمين من مكانة روحية سامية: ناهيك بأنه إدعاء لا يُمثّل وحسب إستهانةً بمكانة بيت المقدس لدى المسلمين باعتباره قبلتهم الأولى؛ بل يُشكّل أيضاً تحدياً مصيرياً للحضارة العربية والإسلامية يهدد وحدتها التاريخية والحضارية ويستخف استخفافاً معنوياً أرعناً بالأساس التاريخي والعقدي الذي تأسست به وعليه الحضارة العربية الإسلامية..

ومن هنا لم يقتصر مؤتمر معا على تخصيص أوراق الجلسة الافتتاحية الست لقضية القدس في ضوء مهام التحرر الوطني الفلسطيني؛ بل خصص جلسة أخرى لثلة من شباب الباحثين قدّموا خلالها مقترحاتهم بشأن المادة العلمية لمنهجين دراسيين حول القدس أحدهما مُخصّص لمراحل ما قبل الجامعة وبما يشمل المرحلة الابتدائية؛ والآخر مُخصّص للمرحلة الجامعية. كما جاءت الأوراق العلمية لجلسات المؤتمر الأخرى لتؤكد "الوصل" مع حضارة القدس العربية الإسلامية وتراثها عبر جلسات ثلاث سلّطت الأوراق الأربع لأولها الضوء على تاريخ الفضاء العمراني (الحضاري) الذي نبتت ثم أينعت فيه الحضارة العربية الإسلامية؛ ثم تناولت الأوراق الأربع لجلسة أخرى جهود المجددين المحدثين في الوصل مع تراث حضارة القدس اجتهداً وجهاداً؛ بينما اعتنت أوراق أربعة أخرى من جلسة ثالثة بعرض جهود المدرسة المغربية في الإصلاح والتجديد لغوياً وأدبياً لتراث حضارة القدس العربية الإسلامية.

وقد استهل المؤتمر كلّ ما سبق بتخصيص موضوع محاضراته الافتتاحية لحديث ضيف شرف المؤتمر- الأستاذ الباحث بدر المقرئ- عن القدس في عيون المغاربة عبر تاريخهم.. وقد قدم الأستاذ المقرئ لمحاضراته بديباجة منهجية، تحدث فيها عن موضوع المحاضرة باعتباره خطاباً معرفياً معنياً بالدراسة والتحليل الأركيولوجي وتناغم معرفة المغاربة وتواصلهم التاريخيين ببيت المقدس.. فأظهر محوراً القدس التاريخية والحضارية والترايبية في بنية العقل والفكر المغربي الحضاري الإسلامي، انطلاقاً من أركيولوجيا المعرفة التاريخية مشيراً إلى التلاحم المكاني والزمني المغربي المقدسي.. وهو ما تناوله بداية في محور أول تحدث فيه عن رمزية القدس في بنية العقل والفكر المغربي عبر الصورة والتصور لدى مفكري الغرب الإسلامي، وفي مقدمتهم أبو بكر بن العربي المعافري وأبو عبد الله المقلبي والشهيد الكتاني والفقيه أبو علي اليوسفي.. وفي محور ثانٍ تناول ركب

الحاج المغربي الذي يُعدُّ الفقيه سيدي محمد المنوني أبرز من كتب عنه عبر كتابه النفيس ركب *الحاج المغربي: طرق مواكب الحج المغربي*. حيث كان من سنة الحجاج المغاربة أثناء رحلتهم لحج بيت الله الحرام تقديم زيارة بيت المقدس دلالةً على مكانة القدس والمقدسات في السلوك التعبدى لدى المغاربة.

وفي محور ثالثٍ أوضح الأستاذ المقرئ أولوية القدس في الرحلات المغربية قديماً وحديثاً: وهو ما تبرزه الرحلة العياشية لأبي سالم العياشي رحمه الله. بينما جاء محور رابعٍ لیتناول أوقاف المغاربة وحارتهم وبابهم في القدس: وليوضح أن من لا ذاكرة له لا حياة له؛ وأن كتاب المؤرخ المغربي العلامة عبد الهادي التازي حول القدس والمقدسات دليلٌ واضح على تصالح المغاربة مع الذاكرة، وعلى الثقة والأمانة التي تُسجّل في حقهم وهو ما أبانه تعامل القائد صلاح الدين الأيوبي مع المغاربة حين أمّتهم على بيت المقدس وأسكنهم بحارة هي اليوم شاهدة على الذاكرة التي لا يمكن أن ينساها الإنسان المغربي أو أن تغيب عن تاريخه.. كما أبان محور خامس أن فلسطين كانت بوصلة نهارٍ لا يحتاج إلى دليل لدى المقاومة المغربية ممن عرفتهم حي المغاربة بكتائبهم الثلاث عشرة وما تضمه من مقاومها الخمسمائة وعلى رأسهم النقباء الذين كان جلهم من الأمازيغ.

وذكر الأستاذ المقرئ في محور سادسٍ بعمق العلاقات المغربية الفلسطينية الراهنة في أبعادها التربوية والتعليمية، وذلك من خلال التبادل التربوي والبعثات الثقافية الطلابية: حيث كان في مقدمة أعلام رواد التبادل التربوي المغاربة عبد السلام بنونة وشكيب أرسلان. ومن هنا كما يوضح محورٌ سابع، أهمية النظر من زاوية سوسيولوجيا المعرفة إلى مكانة فلسطين في الخطاب السياسي المغربي- حيث تأسس وفد يضم خيرة علماء المغرب الكبار للتعريف والدفاع عن القضية الفلسطينية في المحافل الدولية والإعلامية- وما يعرفه هذا الخطاب من تمدد جغرافي وحضور اقتصادي تبرزه- على سبيل المثال لا الحصر- أدبيات عمر بن جلون في الدفاع عن القضية الفلسطينية حيث قاربت مقالاته في ذلك 69 مقالاً.. لذا- يبين المحور قبل الأخير في محاضرة الأستاذ المقرئ- أن فلسطين كانت أولوية فنية مغربية، وحيث الظاهرة الغوانية الفلسطينية والفنون التشكيلية للمغاربة شاهدٌ جليٌّ على الإبداع المغربي في دعم القضية الفلسطينية.

وأخيراً، لم يفت الأستاذ المقرئ أن يلقي الضوء في المحور الأخير من محاضراته على الدعم المؤسسي والرسمي للقضية الفلسطينية، وذلك عبر جمعيات أهلية وكذلك عبر وكالة بيت مال القدس التي تحظى بدعم شخصي من عاهل المغرب وبعباية حكومة جلالته.. وقد اختتم الأستاذ المقرئ محاضراته بخلاصات عامة قدّمها اقتراحاتٍ بشأن قضية القدس.

رئيس التحرير

المقرر: الباحث/ د.عبد العزيز تكي

¹ الدكتور بدر المقرئ أستاذ في التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الأول بوجدة: ومن ذات الجامعة كان قد حصل على الإجازة في الآداب، وعلى دبلوم الدراسات المعمقة في الآداب، وعلى دكتوراه السلك الثالث في الآداب، ودكتوراه الدولة في الدراسات الاستشراقية والاستعرابية الفرنسية؛ كما حصل من باريس على شهادة المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (القسم الرابع) في العلوم التاريخية والفيلولوجية.. وهو باحث في العديد من حقول البحث العلمي (الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية: تاريخ الأفكار؛ التصورات الوصفية والمنهجية للمثاقفة؛ الدراسات الاستشراقية والاستعرابية الفرنسية؛ قضايا الإنسان والعمران؛ تاريخ العلوم عند المسلمين؛ الدراسات الفلسطينية).. وقد صدر له قرابة 14 كتاباً بالعربية والفرنسية كان آخرها كتاب *نظام الأشياء: مقاربات في تاريخ الأفكار/ الحيوية*.. وكما جاء في تقرّظ الناشر لهذا الكتاب فإن كتابات الأستاذ المقرئ تكشف عن [مشروع تفكيكي يشتغل بهدوء ويجرب أدواته التحليلية بمهارة وشجاعة وهو يحاول أن يتوغل عميقاً في قضايا التاريخ والاجتماع، بحس فلسفي يفتش عن نقط الارتكاز ويكشف مجاري السيولة والانصبهار والتلاشي وأشكال التشويه التي تقصف بها أدوات الاستعمار الثقافي والفكري حصون الذات الحضارية].